# الإسهامات اللغوية لابن الجوزي من خلال تفسيره "زاد المسير في علم التفسير"

# Ibn Al-Jawzi's Linguistic Contributions through His Interpretation "Zad Al-Masir."

**أ.د. مبارك بلالي[1]**

**كلية الآداب واللغات بجامعة أدرار – الجزائر**

**mebarekblali@yahoo.com**

**تاريخ الوصول 2020/11/10 القبول 2021/10/17 النشر على الخط 2022/01/15**

**Received 10/11/2020 Accepted 17/10/2021 Published online 15/01/2022**

## ملخص:

جعل الله سبحانه وتعالى اللغة العربية وعاء وحيه المنزّل على خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم ، وجاء القرآن الكريم – خاتم الكتب السماوية – جارياً على لسان العرب بحسب أساليبهم في القول وفنونهم في البلاغة ، متسنّما أعلى ذراها ومتبوئاً المكانة العليا والغاية العظمى التي ليس بعدها غاية ، فجاءت لغة الوحي الإلهي – اللغة العربية – متصفة بالعمق والثراء ، ومتفرّدة في الإعجاز اللغوي وقوانينه.

وقد فقه المفسرون – ومنهم ابن الجوزي رحمه الله – خصائص هذه اللغة القرآنية المتفرّدة فانبروا يبحثون تلك السمات والخصائص، فجاء بحث ابن الجوزي في تفسيره "زاد المسير" لقضايا اللغة العربية وعلومها بحثاً متميزاً له منهجه الخاص، من خلال توظيفه لعلم النحو لبيان معاني الآيات وتوجيه القراءات،كما وظف علوم: البلاغة ،و الاشتقاق، و التصريف، و الاقتراض،و الغريب وغيرها من العلوم الضرورية و المهمة في التصدي لتفسير كتاب الله عز وجلّ.

تهدف هذه السطور–إذاً– إلى تتبّع الإسهامات اللغوية لابن الجوزي في مجال التفسير بخاصة، و بيان أثر التفسير اللغوي عنده في مبحث اللغة العربية وعلومها في تفسير القرآن الكريم على وجه الإجمال.

**الكلمات المفتاحية:** اللغة– علوم اللغة– –القرآن– التفسير–ابن الجوزي .

## Abstract

God Almighty made the Arabic language the vessel of his revelation revealed to the seal of his messengers, Muhammad, may God bless him and grant him peace, the Noble Qur'an - the seal of the divine books - came in progress on the tongue of the Arabs according to their methods of speech and their art of rhetoric, assuming the highest heights and assuming the supreme position and the great goal beyond which there is no goal, then came the language of divine revelation - the Arabic language - characterized by depth and richness, and unique in the linguistic miracles and its laws.

The explainers - including Ibn al-Jawzi, may God have mercy on him - understood the characteristics of this unique Qur'anic language, and then proceeded to discuss these features and characteristics, Ibn al-Jawzi's research on his interpretation of "Zad al-Masir" of issues of the Arabic language and its sciences came as a distinguished research with its own approach, through his employment of grammar to clarify the meanings of the verses and direct the readings, he also employed the sciences: rhetoric, derivation, inflection, borrowing, strange and other sciences necessary and important in confronting the interpretation of the Book of God Almighty.

These lines, then, aim to trace the linguistic contributions of Ibn al-Jawzi in the field of interpretation in particular,and explaining the effect of linguistic exegesis he has in the study of Arabic language and its sciences on the interpretation of the Noble Qur'an in general.

**Key words.** Language - Language Sciences - Quran - Interpretation - Ibn Al-Jawzi.

[1]– المؤلّف المراسل: مبارك بلالي البريد الإلكتروني: **mebarekblali@yahoo.com**

## 1. مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وبعد،

فإن القرآن الكريم خير ما تنفق فيه الأوقات، وخير ما تبذل فيه الجهود، ذلك أنه خطاب الله الخالق العظيم، الخطاب الخاتم للناس أجمعين، تضمن بين دفتيه الشريعة والمنهاج الذين يضبطان حركة الإنسان في هذه الأرض، تحقيقا للخلافة ونهوضا بأعبائها.

فقد حوى هذا الخطاب الإلهي تفردا وإعجازا على جميع الأصعدة، ومنها صعيد اللغة، وأثبت بذاته ذلك الإعجاز اللغوي في المبنى وفي المعنى، فجاءت كلماته وتراكيبه المختارة منضبطة ومنتظمة، في بناء متكامل ليس به خلل أو قصور ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ (النساء: 82).

إن تفسير "زاد المسير" يعد من بين التفاسير المتفرّدة التي تلقاها علماء الأمة بالقبول، وسجلوا كبير إعجابهم بالتنوع المعرفي الذي شكل بناء هذا السفر الجليل، وقد كانت معرفة ابن الجوزي باللغة وعلومها وفنونها واحدة من أبرز أنواع "الزاد" الذي أعانه على التصدي لتفسير كلام الله عز وجل والترجمة عنه.

نحاول في هذه السطور بسط الكلام حول الجوانب اللغوية التي عرض لها ابن الجوزي في تفسيره، وبيان كيفية توظيفه لها في الكشف عن جوانب الإعجاز في التركيب القرآني.

يستمد هذا الموضوع أهميته من حيث هو موضوع يرتكز على المعرفة اللغوية في التعامل مع كتاب الله عز وجل فهما وتأويلا، في مواجهة بعض الدعوات التي تنادي بتحرير الفهم القرآني من جميع تلك الأصول التراثية –ومنها الأصل اللغوي– الذي أجمع العلماء على صلاحيتها ومركزيتها في فهم الخطاب القرآني. هذه الدعوات المشبوهة تقيم حججها على أساس أن دراسة كتاب الله عز وجل يجب أن تكون دراسة جديدة حداثية، بعيدا عن مناهج القراءة والفهم الموروثة عن سلف الأمة.

اشتملت خطة الموضوع على تمهيد تناولت فيه تعريفا بابن الجوزي وبتفسيره "زاد المسير في علم التفسير"، تلته ثلاثة مباحث؛ تناول المبحث الأول منها: مصادر اللغة في تفسير "زاد المسير": شملت المصادر التي نقل عنها مباشرة، كما شملت مصدر القراءة على بعض شيوخه، وكذا محفوظه من المادة اللغوية.

وأما المبحث الثاني: فقد تناول عرضا للمادة اللغوية في "زاد المسير" مقسمة بحسب العلوم اللغوية التي عرض لها ابن الجوزي؛ كعلوم النحو، والتصريف، والبلاغة والبيان؛ وكذا مسائل الصوت اللغوي.

وأما المبحث الثالث: فتناولنا فيه المادة اللغوية للقراءات القرآنية في "زاد المسير" من خلال التعرض لطريقة ابن الجوزي في إيراد القراءات، والتنبيه على أصول القراء، وكذا توجيهه للقراءات .

## 2. ترجمة ابن الجوزي والتعريف بتفسيره " زاد المسير ".

هو أبو الفرج ابن أبي الحسن بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن حمادي ابن محمد بن جعفر الجوزي، القرشي البكري البغدادي، الفقيه الحنبلي، الواعظ الحافظ المفسّر، الأديب الملقب بجمال الدين المعروف بابن الجوزي، المتوفى سنة 597هـ رحمه الله رحمة واسعة .

وأما مصنفاته فقد أربت على المائتين شملت علوم القرآن والتفسير وأصول الدين وعلم الحديث وعلوم الزهد والرقائق والتاريخ والسير والتراجم والفقه وغيرها من الفنون.

وأما تفسير " زاد المسير" فقد أشار إليه غير واحد من العلماء الذين ترجموا له، قال ابن خلكان في ترجمته لابن الجوزي: «صنف في فنون عديدة مصنفات كثيرة ومنهازاد المسير في علم التفسير أربعة أجزاء أتى فيه بأشياء غريبة »[1]، كما ذكر ابن رجب الحنبلي حين تحدث عن مصنفات ابن الجوزي أن " زاد المسير " يعد من مصنفات ابن الجوزي [2] .

وذكر ابن الجوزي في مقدمة " زاد المسير" الدواعي إلى تأليفه حيث قال:« لما كان القرآن العزيز أشرف العلوم، كان الفهم لمعانيه أوفى الفهوم، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، وإني نظرت في جملة من كتب التفسير، فوجدتها بين كبير قد يئس الحافظ منه، وصغير لا يستفاد كل المقصود منه، والمتوسط منها قليل الفوائد، عديم الترتيب، وربما أهمل فيه المشكل، وشرح غير الغريب، فأتيتك بهذا المختصر اليسير منطويا على العلم الغزير ووسمته بـ: " زاد المسير في علم التفسير "، وقد بالغت في اختصار لفظه، فاجتهد وفقك الله في حفظه، والله المعين على تحقيقه فمازال جائدا بتوفيقه»[3] .

ويتضح مما سبق أن الذي حمل ابن الجوزي على تصنيفه هذا التفسير أمران اثنان:

أ – اعتبار ابن الجوزي علم التفسير أشرف العلوم قاطبة .

ب – عدم وجود تفسير – بحسب ابن الجوزي – حسن الترتيب مختصر العبارة، ليس بالطويل وليس بالمختصر الشديد، مشتمل على المشكل والغريب، متيسر الحفظ لمن أراد ذلك ...

ثم أشار ابن الجوزي إلى منهج تفسيره ومميزاته – بين باقي التفاسير– الموجودة على زمانه فقال: « لما رأيت جمهور كتب المفسرين لا يكاد الكتاب منها يفي بالمقصود كشفه حتى ينظر للآية الواحدة في كتب، فربّ تفسير أخل فيه بعلم الناسخ والمنسوخ، أو ببعضه، فإن وُجد فيه لم يوجد أسباب النزول، أو أكثرها، فإن وجد لم يوجد بيان المكي من المدني، وإن وجد ذلك لم توجد الإشارة إلى حكم الآية، فإن وجد لم يوجد جواب إشكال يقع في الآية، إلى غير ذلك من الفنون المطلوبة ..

وقد أدرجت في هذا الكتاب من هذه الفنون المذكورة مع ما لم أذكره، مما لايستغني التفسير عنه ما أرجو به وقوع الغناء بهذا الكتاب عن أكثر ما يجانسه ..

وقد حذرت من إعادة تفسير كلمة متقدمة إلا على وجه الإشارة، ولم أغادر من الأقوال التي أحطت بها إلا ما تبعد صحته مع الاختصار البالغ، فإذا رأيت في فرش الآيات ما لم يذكر تفسيره، فهو لا يخلو من أمرين؛ إما أن يكون قد سبق، وإما أن يكون ظاهرا لا يحتاج إلى تفسير..

وقد انتقى كتابنا هذا أنقى التفاسير، فأخذ منها الأصح والأحسن والأصون، فنظمه في عبارة الاختصار، وهذا حين شروعنا فيما ابتدأنا له، والله الموفق »[4].

---

[1] ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح: د. إحسان عباس (بيروت: دار صادر، ط 1390هـ)، 140/3 .

[2] يراجع: ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة، (مطبعة السنة المحمدية ط 1404هـ)، 416/1 .

[3] ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمان بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط 4، 1407هـ/1987م) ، 3/1 و 4 .

[4] ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير ، مرجع سابق، 1/ 6و7 .

## 3. مصادر اللغة في تفسير " زاد المسير".

استعان ابن الجوزي في تفسير " زاد المسير" بمجموعة من المصادر؛ بين مصادر نقل عنها مباشرة، وأخرى نقل عنها بطريق الرواية عن شيوخه أو بطريق القراءة عليهم، كما يمكن أيضا الإشارة إلى مصدر الحفظ، أي ما كان يحفظه هو من مادة علمية، وفيما يلي بيان ذلك:

### 1.3. المصادر التي نقل عنها مباشرة .

إن المصادر التي نقل عنها ابن الجوزي كثيرة، وتظهر من خلال إيراده لأسماء الأعلام المنقول عنهم مثل أن يقول: " قال الفراء"[1]، أو "قال الأخفش"[2] أو "قال ابن قتيبة"[3]، أو "قال الزجاج "[4]، أو "قال الطبري"[5]، أو "قال ابن الأنباري"[6] وغير هؤلاء، وواضح من ذكره لكلمة "قال" أنه نقل عن كتب هؤلاء العلماء، وهذا النوع من النقل يغلب على تفسير "زاد المسير".

وقد يذكر ابن الجوزي أحيانا الكاتب الذي نقل عنه واسم التفسير أو الكتاب يذكرهما معا، مثال ذلك ما جاء في فاتحة تفسيره لسورة الحجرات عندما عرض لمفهوم "المفصل" حيث قال: « وقد ذكر الماوردي في أول تفسيره في المفصل ثلاثة أقوال: أحدهما أنه من أول سورة محمد إلى آخر القرآن قاله الأكثرون. والثاني من سورة (ق) إلى آخره، حكاه عيسى بن عمر عن كثير من الصحابة، والثالث: من (الضحى) إلى آخره قاله ابن عباس »[7].

وفي المسائل اللغوية اعتمد ابن الجوزي أقوال وآراء مجموعة من كبار اللغويين أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي[8] وسيبويه[9] والمبرد [10] وابن فارس[11] والأصمعي[12] وغيرهم.

---

[1] 162/1 و 169/3 .

[2] 187/1 .

[3] 94/3 .

[4] 76/1 و 138/1

[5] 58/2 .

[6] 57/2 و 275/2 .

[7] ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، مرجع سابق، 452/7، وينظر أيضا: 119/1 .

[8] هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري أبو عبد الرحمان صاحب العربية والعروض، كان من الزهاد في الدنيا، والمنقطعين إلى العلم، له من التصانيف غير العين: كتاب النغم، الجمل، العروض، الشواهد، النقط والشكل .. توفي سنة 175. السيوطي، بغية الوعاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار الفكر، ط 2، 1399هـ – 1979م)، 559/1 و 560 .

[9] هو عمرو بن عثمان بن قنبر إمام البصريين سيبويه أبو بشر ويقال: أبو الحسن أخذ عن الخليل ويونس وأبي الخطاب الأخفش وعيسى بن عمر، مات سنة 180هـ. السيوطي، بغية الوعاة، مرجع سابق، 231/2 و 232 .

[10] هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري أبو العباس المبرد إمام العربية ببغداد في زمانه.. كان فصيحا بليغا لغويا. له من التصانيف: معاني القرآن، الكامل، المقتضب، الروضة، المقصور والممدود، إعراب القرآن، مات عام 285هـ .السيوطي، بغية الوعاة، مرجع سابق، 269/1 – 271 .

[11] هو احمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب أبو الحسين اللغوي القزويني كان نحويا على طريقة الكوفيين، من تصانيفه: المجمل في اللغة، مقدمة في النحو، وذم الخطأ في الشعر، الإتباع والمزاوجة، اختلاف النحويين، توفي عام 395هـ . السيوطي، بغية الوعاة، مرجع سابق، 352/1.

[12] هو عبد المالك بن قُريب بن عبد المالك بن علي بن أصمع أبو سعيد الأصمعي البصري اللغوي، أحد أئمة اللغة والغريب والأخبار والملح والنوادر، من تصانيفه: غريب القرآن، خلق الإنسان، الأجناس، الاشتقاق، كتاب اللغات، كتاب النوادر، مات سنة 216هـ . السيوطي، بغية الوعاة، مرجع سابق ، 121/2 – 213 .

كما اعتمد في نقل مادته اللغوية أيضا على طائفة من العلماء ممن ألفوا في "معاني القرآن" و " غريب القرآن" و " إعراب القرآن" أمثال: الفراء [1] والزجاج[2] والأخفش[3] وأبي عبيدة[4] وابن الأنباري[5] وابن قتيبة [6].

وفي مجال القراءات القرآنية وتوجيهها اعتمد ابن الجوزي على أمثال مكي بن أبي طالب القيسي[7] وأبي علي الفارسي[8] وابن وابن الأنباري والزجاج والفراء وغيرهم .

ولابن الجوزي منهج فريد في توظيف أقوال اللغويين والمفسرين فقد يلخص ما بسط فيه بعض ممن نقل عنهم، نحو ما فعله حين تفسيره لقوله تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**﴾ (سورة البقرة: 185)،فقد نقل عن الأخفش قوله ««(شهر رمضان) بالرفع* على تفسير الأيام كأنه حين قال (أياما معدودات) فسرها فقال: هي شهر رمضان »[9]، لكن الأخفش في "معاني "معاني القرآن" زاد على هذا النص بما يلي:«... وقد نصب بعضهم (شهرَ رمضان) وذلك جائز على الأمر، كأنه قال: "شهرَ رمضان فصوموا"، أو جعله ظرفا على (كُتب عليكم الصيام) (شهر رمضان) أي "في شهر رمضان" و "رمضان" في موضع جر لأن الشهر أضيف إليه ولكنه لا ينصرف »[10] .

---

[1]هو يحي بن زياد بن عبد الله بن منظور أبو زكريا الديلمي المعروف بالفراء، الإمام المشهور، أخذ عنه الكسائي له مصنفات كثيرة مشهورة في النحو واللغة ومعاني القرآن، مات سنة 207هـ. الفيروز آبادي، البلغة في تاريخ أئمة اللغة، (بيروت: المكتبة العصرية، 1422هـ– 2001م) ، ص 195 .

[2]هو إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج، أخذ عن ثعلب والمبرد، له معاني القرآن وفعل وأفعل، وغير ذلك توفي سنة 311هـ. الفيروز آبادي، البلغة، مرجع سابق، ص 31 .

[3]هو سعيد بن مسعد المجاشعي الأخفش، مولى مجاشع بن دارم من أهل بلخ، سكن البصرة، قرأ النحو على سيبويه، من تصانيفه: كتاب الأوسط وأمره الكسائي أن يضع كتابا في معاني القرآن، فوضع كتابا، وصار الكسائي يحذو مثاله حتى وضع كتابه في المعاني، توفي سنة 215هـ. الفيروز آبادي، البلغة، مرجع سابق، ص 83 .

[4]هو معمر بن المثنى أبو عبيدة التيمي البصري النحوي اللغوي مولى بني عبيد الله بن معمر التيمي، تيم بن مرة بن كعب، له كتاب في مثالب العرب، وكتاب في مثالب أهل البصرة، مات سنة 208هـ . الفيروز آبادي، البلغة، مرجع سابق، ص 183 .

[5]هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسين بن بيان ابن سماعة بن فروة بن قطن بن دعامة الإمام أبو بكر بن الأنباري النحوي اللغوي، له من التصانيف: غريب الحديث، الهاءات، الأضداد، المشكل، المذكر والمؤنث، أدب الكاتب، توفي سنة 308هـ. السيوطي، بغية الوعاة، مرجع سابق، 212/1 – 214 .

[6]هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الكوفي الدينوري، روي عن إسحاق بن راهويه ومحمد بن زيادة بن الأعرابي، وأبي حاتم السجستاني له من التصانيف: إعراب القرآن، معاني القرآن، غريب القرآن، مختلف الحديث، مشكل القرآن، غريب الحديث، مات سنة 276هـ. السيوطي، بغية الوعاة، مرجع سابق، 63/2 و 64 وينظر: الفيروز آبادي، البلغة، مرجع سابق، ص 103 .

[7]هو مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار أبو محمد القيسي النحوي المقرئ صاحب الإعراب، كان من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية له من التصانيف: إعراب القرآن، الموجز في القراءات، الهداية في التفسير، الوقف على كلا، وغيرها، توفي سنة 437هـ. السيوطي، بغية الوعاة، مرجع سابق، 298/2 .

[8]هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان الإمام أبو علي الفارسي أخذ عن الزجاج وابن السراج، من تصانيفه: الحجة، التذكرة، أبيات الإعراب، المسائل الحلبية، الإيضاح في النحو، التكملة في التصريف، توفي ببغداد سنة 377هـ. السيوطي، بغية الوعاة، مرجع سابق، 496/1 و 497 .

*كلمة أضافها ابن الجوزي في نقله لكلام الأخفش وليست في الأصل .

[9]ابن الجوزي ، زاد المسير، مرجع سابق، 187/1 .

[10]الأخفش، معاني القرآن، تح: عبد الأمير محمد أمين الورد، (بيروت: عالم الكتب، 1405هـ / 1985م)، 352/1 .

ومن أمثلة ذلك أيضا ما ورد في تفسيره لقوله تعالى:﴿**فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**﴾(النساء: 03) حيث قال ابن الجوزي: «قال ابن قتيبة : معنى الآية فكما تخافون ألا تعدلوا بين اليتامى إذا كفلتموهم فخافوا أيضا ألا تعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن، فقصرهم على أربع، ليقدروا على العدل»[1] .

ونص كلام ابن فتيبة في "تأويل مشكل القرآن" هو: «والمعنى: أن الله تعالى قصر الرجال على أربع نسوة وحرم عليهم أن ينكحوا أكثر منهن؛ لأنه لو أباح لهم أن ينكحوا من الحرائر ما أباح من ملك اليمين لم يستطيعوا العدل عليهم بالتسوية بينهن، فقال لنا: فكما تخافون ألا تعدلوا بين اليتامى إذا كفلتموهم، فخافوا أيضا ألا تعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن، فانكحوا اثنتين وثلاثا وأربعا، ولا تتجاوزا ذلك فتعجزوا عن العدل. ثم قال: فإن خفتم أيضا ألا تعدلوا بين الثلاث والأربع، فانكحوا واحدة، او اقتصروا على ما ملكت إيمانكم من الإماء، ذلك أدنى ألا تعولوا، أي لا تجوروا وتميلوا »[2].

والفرق واضح بين اقتباس ابن الجوزي ونص كلام ابن قتيبة كما في الأصل.

ومن ذلك أيضا ما أورده ابن الجوزي في تفسير قوله تعالى:﴿**قالَ لا عاصِمَ اليَومَ مِن أَمرِ اللَّهِ إِلّا مَن رَحِمَ**﴾ (هود: 43) حيث قال:«(قال لا عاصم اليوم) فيه قولان : ... والثاني (من القولين): لا معصوم، ومثله: ماء دافق، أي مدفوق، وسرّ كاتم، وليل نائم، قاله ابن قتيبة »[3] .وأما نص كلام ابن قتيبة فنجده كاملا في المشكل في باب: " مخالفة ظاهر اللفظ معناه " حيث يقول ابن قتيبة:«ومنه أن يجيئ المفعول به على لفظ الفاعل كقوله تعالى (قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا لمن رحم) أي لا معصوم من أمره، وقوله: ﴿**مِن مَّاءٍ دَافِقٍ**﴾(الطارق: 06) وقوله: ﴿**فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ**﴾ (الحاقة: 21)، أي مرضي بها، وقوله: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا**﴾ (العنكبوت: 67)، أي مأمونا فيه، وقوله:﴿**وَجَعَلنا آيَةَ النَّهارِ مُبصِرَةً**﴾(الإسراء: 12) أي مبصر بها، والعرب تقول: ليل نائم، وسرّ كاتم ..»[4]، والفرق بين هذا الأصل والكلام المقبوس واضح .

### 2.3. مصدر القراءة على شيوخه .

اعتمد ابن الجوزي طريقة القراءة على شيوخه والرواية عنهم في مواضع كثيرة من زاد المسير، وتأتي هذه الطريقة في المرتبة الثانية بعد طريقة النقل المباشر من المصادر اللغوية المختلفة، وأكثر من كان يروي عنهم قراءة أو سماعا من اللغويين شيخه أبي منصور الجواليقي اللغوي[5]. فقد كان ابن الجوزي يصرحبالقراءة على شيخه أبي منصور في كثير من المواضع، منها حين عرض لتفسير قوله تعالى:﴿**وَلا تعالى:﴿وَلا تَقعُدوا بِكُلِّ صِراطٍ توعِدونَ وَتَصُدّونَ عَن سَبيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ بِهِ وَتَبغونَها عِوَجًا** ﴾(الأعراف: 86) حيث

[1] ابن الجوزي، تفسير زاد المسير ، مرجع سابق، 9/2 .

[2] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرحه: السيد أحمد صقر (المكتبة العصرية، د ط، د ت)، ص 72 .

[3] ابن الجوزي، تفسير زاد المسير ، مرجع سابق، 110/4 .

[4] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، مرجع سابق، ص 296 .

[5] هو موهوب بن أحمد بن محمد بن الحسين بن الخضر أبو منصور الجواليقي النحوي اللغوي كان إماما في فنون الأدب صنف: شرح أدب الكاتب، ما تلحن فيه العامة، وغير ذلك ، توفي سنة 465هـ. السيوطي، بغية الوعاة، مرجع سابق ، 308/2 .

قال:«وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، قال: إذا أرادوا أن يذكروا ما تهددوا به مع أوعدت، جاءوا بالباء، فقالوا: أوعدته بالضرب، ولا يقولون: أوعدته الضرب »[1].

ومثال آخر عن ذلك ماورد في تفسير قوله تعالى:﴿**وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ**﴾ (النساء: 23) حيث قال ابن الجوزي: «وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: الحليل: الزوج، والحليلة: المرأة، وسميا بذلك، إما لأنهما يحلان في موضع واحد، أو لأن كل واحد منهما يحال صاحبه، أي: ينازله، أو لأن كل واحد منهما يحل إزار صاحبه »[2].

كما روي عن شيخه أبي منصور اللغوي تفسير لفظ "فتياتكم" الوارد في قوله تعالى:﴿**وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ**﴾(النساء: 25)، قال ابن الجوزي : «قرأت على شيخنا الإمام أبي منصور اللغوي قال المتفتية: الفتاة والمراهقة، ويقال للجارية الحدثة: فتاة، وللغلام فتى »[3].

وأما تصريح ابن الجوزي بالسماع من شيخه أبي منصور اللغوي فمثاله ما جاء في تفسير قوله تعالى:﴿**وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ**﴾(البقرة: 189) حيث قال : « وسمعت شيخنا أبا منصور اللغوي يقول: إذا كان الجمع على فعول، وثانية ياء؛ جاز فيه الضم والكسر، تقول: بُيُوت وبِيوت وشُيُوخ وشِيوخ، وقُيُود وقِيود»[4]. وقد يكون نقل المادة اللغوية – عند ابن الجوزي – في شكل قراءة قرأها على شيخه من كتب الآخرين مثل ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا**﴾ (آل عمران:37) حيث قال: « وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي عن ابن دريد قال: زكريا اسم أعجمي، يقال: زكري، وزكرياء ممدود، وزكريا مقصور »[5].

### 3.3. محفوظه من المادة اللغوية .

أجمع الذين ترجموا لابن الجوزي أنه الإمام الحافظ المطلع على الآثار، وهو الذي قرأ على المشايخ في الحديث وفي اللغة، كعبد الوهاب الأنماطي وأبي منصور الجواليقي[6]وغيرهما،وحفظ مما في الكتب الكثيرة التي طالعها، وفي طليعتها كتب الحديث الشريف، فلا عجب أن يجد المرء وهو يطالع زاد المسير نصوص الحديث الشريف والأخبار والسير من دون عزو إلى احد أو إحالة على كتاب، مما يدل على أنها من محفوظاته، ولا شك أن المرء لا يمكنه أن يكون حافظا متقنا إلا إذا كان ذا همة عالية ونفس توّاقة، قال ابن الجوزي عن نفسه: «ولقد كنت في حلاوة طلبي العلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو. كنت في زمان الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب الحديث، وأقعد على نهر عيسى فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء فكلما أكلت لقمة شربت عليها. وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم، فأثمر ذلك عندي أني عرفت بكثرة سماعي لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأحواله وآدابه، وأحوال أصحابه وتابعيهم»[7]. وقال في موضع آخر: «.. ونظرت إلى علو همتي فرأيتها

---

[1] ابن الجوزي، تفسير زاد المسير، مرجع سابق، 229/3 .
[2] ابن الجوزي، تفسير زاد المسير، مرجع سابق، 48/2 .
[3] ابن الجوزي/ تفسير زاد المسير، مرجع سابق، 56/2 .
[4] ابن الجوزي، تفسير زاد المسير، مرجع سابق، 196/1 .
[5] ابن الجوزي، تفسير زاد المسير، مرجع سابق، 378/1 .
[6] ابن الجوزي، صيد الخاطر، تحقيق: عبد الحميد هنداوي (بيروت: المكتبة العصرية ، 1428هـ/ 2007م)، ص 113 .
[7] ابن الجوزي، صيد الخاطر، مرجع سابق، ص 179 .

فرأيتها عجبا، وذلك أنني أروم من العلم ما أتيقن أني لا أصل إليه، لأنني أحب نيل كل العلوم على اختلاف فنونها، وأريد استقصاء كل فن، هذا أمر يعجز العمر عن بعضه»[1].

## 4. المادة اللغوية في تفسير " زاد المسير".

وظف ابن الجوزي في "زاد المسير" مادة لغوية متنوعة،من علم النحو وعلم التصريف والأصوات والدلالة، وغيرها، وفيما يلي بيان ذلك:

### 1.4. مسائل النحو .

ومن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى:﴿**قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ**﴾(المائدة:60) حيث قال ابن الجوزي:«.. قال الزجاج: وموضع "من" في قوله (من لعنه الله) إن شئت كان رفعا، وإن شئت كان خفضا، فمن خفض جعله بدلا من "شرٍّ" فيكون المعنى: أنبئكم بمن لعنه الله ؟ ومن رفع فبإضمار "هو" كأن قائلا قال: من ذلك ؟ فقيل: هو من لعنه الله »[2].

ومن ذلك أيضا ما جاء في تفسير قول الله تعالى:﴿**وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ**﴾(الروم: 08) حيث قال : «المعنى: الكافرون بلقاء ربهم فقدمت الباء، لأنها متصلة بـ "كافرون"، وما اتصل بخبر "إن" جاز أن يقدم قبل اللام، ولا يجوز أن تدخل اللام بعد مضي الخبر من غير خلاف بين النحويين، لا يجوز أن تقول: إن زيدا كافر لَبالله، لأن اللام حقها أن تدخل على الابتداء أو الخبر، أو بين الابتداء والخبر، لأنها تؤكد الجملة»[3]، وقال القرطبي في تفسير هذه الآية: «اللام للتوكيد، والتقدير: لكافرون بلقاء ربهم، على التقديم والتأخير؛ أي لكافرون بالبعث بعد الموت»[4].

ومن أمثله توظيف ابن الجوزي للنحو ما جاء في تفسير قوله تعالى:﴿**كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ**﴾(النساء: 24) قال ابن الجوزي: «قوله تعالى (كتاب الله عليكم) قال الزجاج: هو منصوب على التوكيد، محمولة على المعنى، لأن المعنى (حرمت عليكم أمهاتكم): كتب الله عليكم هذا كتابا، قال: ويجوز أن ينتصب على جهة الأمر، ويكون عليكم مفسراً له، فيكون المعنى: إلزموا كتاب الله »[5].

ومن ذلك أيضا ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾(الملك: 02)، قال ابن الجوزي«.. قال الزجاج: والمعلق بـ "أيّكم" مضمر تقديره: ليبلوكم، فيعلم أيكم أحسن عملا، وهذا علم وقوع. وارتفعت "أيّ" بالابتداء، ولا يعمل فيها ما قبلها، لأنها على أصل الاستفهام .. والمعنى: خلق الحياة ليختبركم فيها، وخلق الموت ليبعثكم ويجازيكم وقال غيره: اللام في " ليبلوَكم" متعلق بخلق الحياة دون خلق الموت، لأن الابتلاء بالحياة »[6].

---

[1] ابن الجوزي، صيد الخاطر ، مرجع سابق، ص 182 .

[2] ابن الجوزي، تفسير زاد المسير، مرجع سابق، 386/2 .

[3] ابن الجوزي، تفسير زاد المسير، مرجع سابق، 6/ 290 .

[4] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (بيروت: دار الفكر، ط 1، 1428 / 1429هـ - 2008م)، 3335/7 .

[5] ابن الجوزي، تفسير زاد المسير، مرجع سابق، 51/2 .

[6] ابن الجوزي، تفسير زاد المسير، مرجع سابق، 319/8 .

وقد يعرض ابن الجوزي في مسألة من المسائل إلى الآراء المختلفة للنحويين ويناقشها بعد بيان أوجه القراءات فيها، نجد ذلك مثلا حين عرض لتفسير قوله تعالى:﴿**وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا**﴾ (الجن: 03) حيث قال:«.. وقال الزجاج: والذي يختاره النحويون في هذه السورة أن ما كان من الوحي قبل فيه: "أن" بالفتح، وما كان من قول الجن قيل:"إن" بالكسر. معطوف على قوله تعالى: (إنا سمعنا قرآنا عجبا) وعلى هذا يكون المعنى: وقالوا: إنه تعالى جد ربنا، وقالوا: إنه كان يقول سفيهنا. فأما من فتح فذكر بعض النحويين: يعني الفراء، أنه معطوف على الهاء في قوله تعالى: (فآمنا به) وبأنه تعالى جدّ ربنا. وكذلك ما بعد هذا »[1].ثم علق ابن الجوزي على هذا بقوله: « .. وهذا رديء في القياس، لا يعطف على الهاء المتمكنة المخفوضة إلا بإظهار الخافض. ولكن وجهه أن يكون محمولا على معنى آمنا به، فيكون المعنى: وصدّقنا أنه تعالى جدّ ربنا »[2].

## 2.4. مسائل التصريف والاشتقاق .

استعمل ابن الجوزي مسائل التصريف من أجل بيان معاني الكلمات القرآنية وتوضيح خصائص بناءاتها، من ذلك مثلا ما ورد في تفسيره لقوله تعالى:﴿**رَضوا بِأَن يَكونوا مَعَ الخَوالِفِ وَطُبِعَ عَلى قُلوبِهِم فَهُم لا يَفقَهونَ**﴾(التوبة: 87) حيث قال: « .. قال أبو عبيدة: يجوز أن تكون الخوالف[3] هاهنا النساء، ولا يكادون يجمعون الرجال على تقدير فواعل، غير أنهم قد قالوا: فارس، والجميع: فوارس، وهالك [ في قوم ] هو ذلك قال ابن الأنباري: الخوالف لا يقع إلا على النساء، إذ العرب تجمع فاعلة: فواعل؛ فيقولون: ضاربة، وضوارب، وشاتمة، وشواتم؛ ولا يجمعون فاعلاً: فواعل، إلا في حرفين: فوارس، وهوالك، فيجوز أن يكون مع الخوالف: المتخلفات في المنازل. ويجوز أن يكون: مع الخالفات العاصيات. ويجوز أن يكون: مع النساء العجزة اللاتي لا مدافعة عندهن»[4].

ومن الأمثلة أيضا على توظيفه لمسائل التصريف ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا**﴾ (الأنعام: 06) حيث قال ابن الجوزي: « فأما السماء: فالمراد بها المطر، ومعنى أرسلنا: أنزلنا. و"المدرار" مفعال من درّ، يدِرّ، والمعنى: نرسلها كثيرة الدَّرّ .

ومفعال: من أسماء المبالغة، كقولهم: امرأة مذكار: إذا كانت كثيرة الولادة للذكور، وكذلك مئناث. فإن قيل: السماء مؤنثة، فلم ذكر مدراراً ؟ !

فالجواب: أن حكم ما انعدل من النعوت عن منهاج الفعل وبنائه، أن يلزم التذكير في كل حال سواء كان وصفا لمذكر أومؤنث؛ كقولهم: امرأة مذكار، ومعطار، وامرأة مذكر، ومؤنث، وهي كفور، وشكور. ولو بنيت هذه الأوصاف على الفعل، لقيل: كافرة، وشاكرة، ومُذكرة؛ فلما عدل عن بناء الفعل جرى مجرى ما يستغني بقيام معنى التأنيث فيه عن العلامة؛ كقولهم: النعل لبستها،

---

[1] ابن الجوزي، تفسير زاد المسير، مرجع سابق، 377/8 .

[2] ابن الجوزي، تفسير زاد المسير، مرجع سابق، 377/8 و 378 .

[3] قال ابن منظور:"الخوالف: الذين لا يغزون واحدهم خالفة كأنهم يخلفون من غزا.والخوالف أيضا: الصبيان المتخلفون " لسان العرب، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2005م / 1426ه)، 499/5 (خ ل ف) .

[4] ابن الجوزي، تفسير زاد المسير، مرجع سابق، 3/ 482 .

والفأس كسرتها، وكان إيثارهم التذكير للفرق بين المبني على الفعل، والمعدول عن مثل الأفاعيل ..»[1]. وذكر الراغب الأصفهاني في مفرداته أن أصل "مدراراً" من الدّرّ والدّرّة: أي اللبن، ويستعار ذلك للمطر[2].

ومن أمثلة توظيف قضايا التصريف في "زاد المسير" ما جاء في تفسير قوله تعالى:﴿**وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ**﴾ (ق: 23) قال ابن الجوزي: «..قال مقاتل: هو ملكه الذي كان يكتب عمله السيئ في دار الدنيا، يقول لربه: قد كتبت ما وكلتني به، فهذا عندي مُعدّ حاضر من عمله الخبيث، فقد أتيتك به وبعمله»[3]، ويشرح لنا ابن الجوزي كيف تحولت " عتيد " إلى مُعدّ من أن العرب قد تضع فعيلا في معنى مُفعَل، ومن هذا الضرب الحكيم[4] بمعنى المُحكم الواضح[5].

ومن الأمثلة الدالة على توظيف ابن الجوزي لعلم الاشتقاق ما ذكره حول اختلاف العلماء في اشتقاق اسم الجلالة "**الله**"[6]. وذلك حين فسر البسملة بحيث قال :« اختلف العلماء في اسم الله الذي هو **الله**، فقد قال قوم إنه مشتق، وقال آخرون،إنه علم ليس بمشتق. وفيه عن الخليل روايتان إحداهما أنه ليس بمشتق، ولا يجوز حذف الألف واللام منه كما لا يجوز من الرحمان، والثانية رواها عنه سيبويه: أنه مشتق. وذكر أبو سليمان الخطابي[7]عن بعض العلماء أن أصله في الكلام مشتق من: أله الرجل يأله: إذا فزع إليه من أمر نزل به. فألهه، أي: أجاره وأمّنه، فسمي إلهاً كما يسمى الرجل إماماً، وقال غيره: أصله ولاه، فأبدلت الوار همزة فقيل : إله كما قالوا: وسادة وإسادة، ووشاح وإشاح .

واشتق من الوله، لن قلوب العباد توله نحوه... وكان القياس أن يقال: مألوه، كما قيل: معبود، إلا أنهم خالفوا به البناء ليكون علما كما قالوا: للمكتوب: كتاب وللمحسوب: حساب .. وحكي عن بعض اللغويين: أله الرجل يأله إلاهة، بمعنى عبد يعبد عبادة »[8].

### 3.4. مسائل البلاغة والبيان .

تناول ابن الجوزي مسائل البلاغة والبيان ووظفها في الكشف عن خصائص النظم القرآني، ومن مظاهر ذلك حديثه عن موضوع الحذف والاختصار، حيث قال حين عرض لتفسير قوله تعالى:﴿**أَنا أُنَبِّئُكُم بِتَأويلِهِ فَأَرسِلونِ**﴾(يوسف: 45) قال : «... فخاطب الملك وحده بخطاب الجميع تعظيما، وقيل خاطبه وخاطب أتباعه، وفي الكلام اختصار، المعنى: فأرسلوه فأتى يوسف فقال: يا يوسف يا أيها الصديق ..»[9].

---

[1] ابن الجوزي، تفسير زاد المسير، مرجع سابق، 06/3 .

[2] الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ( بيروت : دار الفكر، 1431 / 1432هـ - 2010م)، ص 127 .

[3] ابن الجوزي، تفسير زاد المسير، مرجع سابق، 15/8 .

[4] في قوله تعالى:﴿**الر تِلكَ آياتُ الكِتابِ الحَكيمِ**﴾(يونس: 01) .

[5] يراجع ابن الجوزي، تفسير زاد المسير، مرجع سابق، 4/4 .

[6] يراجع أيضا: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، 82/1 ففيه تفصيل واف لهذه المسألة .

[7] هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب أبو سليمان الخطابي من ولد زيد بن الخطاب أخي عمر بن الخطاب، أخذ الأدب عن أبي عمر الزاهد وإسماعيل الصفار له من التصانيف: غريب الحديث، شرح البخاري، شرح أبي داود، مات سنة 88هـ. السيوطي، بغية الوعاة، مرجع سابق، 547/1 .

[8] ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، مرجع سابق ، 8/1 و 9 .

[9] ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، مرجع سابق ، 231/4 .

ولا شك في أنه لا يعسر على القارئ لهذه القصة أن يقدّر المحذوف، لدلالة المذكور عليه، وأما ذكر تلك التفصيلات الفرعية فلا يفيد القصة في شيء .

ومن صور الحذف لغرض التفخيم أي تفخيم شأن المحذوف ما جاء في تفسير قوله تعالى:﴿**وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ**﴾(الأنعام: 27) حيث قال ابن الجوزي: « ... والخطاب بهذه الآية للنبي صلى الله عليه وسلم والوعيد للكفار، وجواب " لو " محذوف ومعناه: لو رأيتهم في تلك الحال، لرأيت عجبا»[1]، فترك للذهن تصور هذا المشهد الرهيب، ليستعرض صورا شتى مفزعة متخيلة، عند الاستغراق في تأمل سياق الموقف.

وقال الزمخشري في معرض تفسيره لقول الله تعالى:﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ**﴾(النور:10) أن «جواب "لولا" متروك وتركة دال على عظيم لا يكتنه، ورُبَّ مسكوت عنه أبلغ من منطوق به»[2]. فقد أتاح الحذف هنا أن تذهب تذهب النفس في تصور ألوان العقاب التي كانت ستصيب الخائضين في حديث الإفك، لولا أن الله تداركهم بعفوه ورحمته .

ومن أمثلة توظيف مسائل البلاغة في تفسير آيات الله تعالى وبيان خصائص التركيب القرآني عند ابن الجوزي ما جاء في تفسير قوله تعالى:﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾(آل عمران: 106) حيث قال : « أصل الذوق إنما يكون بالفم، وهذه استعارة منه، فكأنهم جعلوا ما يُتعرّف ويُعرفُ مذوقا على وجه التشبيه بالذي يعرف عند التطعم، تقول العرب: قد ذقت من إكرام فلان ما يرغبني في قصده، يعنون: عرفت، ويقولون: ذق الفرس، فاعرف ماعنده.. يعنون بالذوق: العلم، وفي كتاب الخليل: كل ما نزل بإنسان من مكروه فقد ذاقه»[3].وقال الراغب الأصفهاني:«واختير في القرآن لفظ في العذاب لأن ذلك وإن كان في التعارف للقليل فهو مستصلح للكثير فخصّه بالذكر ليعمّ الأمرين »[4].

### 4.4. مسائل الصوت اللغوي .

عني ابن الجوزي بقضايا الصوت اللغوي في تفسير القرآن انطلاقا من وعيه بحاجة المفسر إلى إتقان المعارف الصوتية في الجانبين الفوناتيكي والتشكيلي، من أجل الوقوف على خصائص الأداء القرآني عند أئمة القراءة، وأن كثيرا من صور الاختلاف بين قراءات هؤلاء الأعلام، يمكن تعليله من الناحية الصوتية، وعلى ذلك وجدناه يعرض لكثير من قضايا هذا الفن (علم الصوت اللغوي). من ذلك مثلا ماورد عند تفسيره لقوله تعالى:﴿**لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا**﴾(البقرة: 233) قال «... قال أبو علي: من رفع فلأجل المرفوع قبله، وهو (لا تكلّف) فأتبعه بما قبله ليقع تشابه اللفظ، ومن نصب جعله أمرا، وفتح الراء لتكون حركته موافقة لما قبلها وهو الألف، قال ابن قتيبة: معناه: لا تضارر، فأدغمت الراء في الراء »[5]. فحديث ابن الجوزي عن موافقة حركة الراء المفتوحة للألف هو هو ما يعرف عند اللغويين بالإتباع لأجل المجانسة، وأما الإدغام– أي إدغام الراء في الراء– فهو أمر شائع الحدوث في العربية، بحيث

[1] ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، مرجع سابق ، 22/3 .
[2] الزمخشري، الكشاف، (بيروت: دار الفكر، 1428 – 1429 / 2008م)، 52/3 .
[3] ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير، مرجع سابق ، 436/1 .
[4] الراغب الأصفهاني، معجم ألفاظ القرآن، مرجع سابق، ص 138 .
[5] ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير، مرجع سابق ، 272/1 .

إذا تجاور صوتان مثلان فإن العرب تميل إلى جعلهما صوتا واحدا مشدّدا، تسهيلا لعملية النطق، وهنا بصرف النظر عن الأصل في (تضارر) بكسر الراء أو فتحها[1].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿**يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾(الصف: 12) نجد ابن الجوزي يناقش آراء بعض اللغويين في عدم جواز إدغام الراء في اللام وهو رأي سيبويه[2] والخليل ومن تابعهما، وأما أبو عمرو بن العلاء فقد خالفهم في ذلك.ونجد ابن الجوزي في هذه المسألة يقف مع أبي عمرو بن العلاء في جواز إدغام الراء في اللام، قال معللا ذلك:« وقد رُويت (إدغام الراء في اللام) عن أبي عمرو بن العلاء وهو إمام عظيم، ولا أحسبه قرأها إلا وقد سمعها من العرب»[3].

هذا، وإدغام الراء في اللام في نظر المحدثين أمر تؤيده التجارب الحديثة، لاشتراك الصوتين في صفة التوسط بين الشدة والرخاوة.[4]

ومن أمثلة توظيف المعطيات الصوتية في التفسير عند ابن الجوزي إشارته إلى أصل كلمة (المُعذّرون) في قوله تعالى:﴿**وَجاءَ الْمُعَذِّرونَ مِنَ الأَعرابِ لِيُؤذَنَ لَهُم**﴾(التوبة: 90) قال :«وأصل الكلمة عند أهل النحو: المُعتذرون، فحُوّلت فتحة التاء إلى العين، وأبدلت الذال من التاء وأدغمت في الذال التي بعدها، فصارتا ذالا مشدّدة»[5].

ومن أمثلة ذلك أيضا ما جاء في تفسير قوله تعالى:﴿**وَقالَ الَّذي نَجا مِنهُما وَادَّكَرَ بَعدَ أُمَّةٍ**﴾(يوسف: 45) حيث قال ابن الجوزي:«.. (ادّكر) أي تذكّر شأن يوسف وما وصاه به. قال الزجاج: وأصل ادّكر: اذتكر، ولكن التاء أبدلت منها الدال، وأدغمت الذال في الدال، وقرأ الحسن: "وادّكر" بالذال المشدّدة »[6].

وقال الزمخشري مرجّحاً فصاحة تركيب: "ادّكر" : «...قُرئ (وادّكر) بالدال وهو الفصيح، وعن الحسن: واذّكر بالذال المعجمة والأصل تذكّر »[7].

يضاف إلى ما سبق إشارة ابن الجوزي إلى جملة مصطلحات هي من صميم الدراسة الصوتية، وحاول التعريف ببعضها، مثل مصطلحات الإشمام، الإشارة، والروم، فقال مثلا في تعريفه للروم بأنه:«صوت ضعيف يسمع خفيا»[8].

كما سجل ابن الجوزي بعض الاختلاف في تعريف الروم والإشمام بين العلماء كحديثه عن ابن كيسان الذي يسمي الإشمام الإشارة، ويسمي الروم إشماما،وذلك عند تفسيره لقوله تعالى:﴿**قالوا يا أَبانا ما لَكَ لا تَأمَنّا**﴾(يوسف: 11) وغير ذلك مما عرض له .

---

[1] يراجع، الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق ، 370/1 .

[2] قال سيبويه: " الراء لا تدغم في اللام ولا في النون، لأنها مكررة وهي تفشى إذا كان معها غيرها، فكرهوا أن يجحفوا بها فتدغم مع ما ليس يتفشى في الفم مثلها ولا يكرر " الكتاب، تح: عبد السلام هارون، ( بيروت: دار الجيل ، ط 1، د ت ) 448/4 .

[3] ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، مرجع سابق ، 254/8 255 . ويراجع: السيرافي، ما ذكره الكوفيون من الإدغام، تحقيق: صبيح التميمي (الجزائر: دار الشهاب د ط ، د ت) ص 35 .

[4] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، (القاهرة : الأنجلو المصرية، ط 4، 1971م).

[5] ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير، مرجع سابق ،483/3 .

[6] ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير، مرجع سابق، 231/4.

[7] االزمخشري، لكشاف ، مرجع سابق، 324/2.

[8] ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير، مرجع سابق ،186/4 .

## 5. مادة القراءات القرآنية في "زاد المسير".

حفل تفسير "زاد المسير" بالقراءات القرآنية المختلفة، كما عرض لبيان توجيهها والتنبيه على أصول القراء، انطلاقا من وعي ابن الجوزي بأهميتها وخطرها في العلم بكيفية أداء الكلمات في القرآن، من أجل الوقوف على مظاهر الاتفاق والاختلاف بين الرواة في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين، والفصل والوصل والإبدال وغير ذلك .

### 1.5. طريقة ابن الجوزي في إيراد القراءات .

من معالم هذه الطريقة زاد المسير أن ابن الجوزي في كثير من الأحيان يتجاوز القراء المعروفين السبعة أو العشرة أو غيرهم إلى سلفهم من قراء الصحابة والتابعين صعودا، كما يتجاوز هؤلاء القراء المشهورين أيضا إلى تلامذتهم ومن نقل عنهم باتجاه النزول.

فمن النوع الأول مثلا ما أراده حين عرض لتفسير قوله تعالى:﴿**وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ**﴾(الممتحنة: 11) قال ابن الجوزي:«... وقرأ ابن مسعود والأزهري والنخعي: " فعَقَبتم " بغير ألف وبفتح العين والقاف وبتخفيفهما، وقرأ ابن عباس، وعائشة، وحميد، والأعمش مثل ذلك، إلا أن القاف مشدّدة »[1].

ومنه أيضا ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿**أَتَذَرُ موسى وَقَومَهُ لِيُفسِدوا فِي الأَرضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ**﴾(الأعراف: 127) حيث قال ابن الجوزي:« وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وأبو العالية، وابن محيصن، "وإلاهتك" بكسر الهمزة وقصرها وفتح اللام وبألف بعدها»[2] .

ومن النوع الثاني –أي ما تناول فيه عرض قراءة تلامذة القراء نزولا– ما جاء في تفسير قوله تعالى:﴿**وَيَحيى مَن حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ**﴾ (الأنفال: 42) حيث قال ابن الجوزي :«قرأ أبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: " من حيّ " بياء واحدة مشدّدة، وهذه رواية حفص عن عاصم، وقنبل عن ابن كثير، وروى شبل عن ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم " حَيِي" بيائينالأولى مكسورة والثانية مفتوحة، وهي قراءة نافع ..»[3].

ومن معالم طريقة ابن الجوزي في عرض مادة القراءات أثناء التفسير أنه إذا كان الأمر متعلقا بالقراءات السبعة أو ببعضها، فإنها تأتي مقدمة في الإيراد عن تفسيره للآية أو الآيات على وجه العموم. من ذلك مثلا ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿**أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ**﴾(القلم: 14) حيث قال : « قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وحفص عن عاصم: " أن كان " على الخبر أي: لأن كان والمعنى: لا تطعه لماله وبنيه»[4].

ومنه أيضا ما جاء في تفسير قوله تعالى:﴿**تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ**﴾(الأحزاب: 51) حيث قال ابن الجوزي:« قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: "تُرجيء" مهموزا؛ وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: بغير همز، وسبب

[1] ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير، مرجع سابق ، 243/8 .
[2] ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير، مرجع سابق ، 244/3 .
[3] ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير، مرجع سابق، 362/3 .
[4] ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير، مرجع سابق ، 333/8 .

نزولها أنه لما نزلت آية التخيير المتقدمة، أشفقن أن يُطلّقن، فقلن: يانبي الله: اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت، ودعنا على حالنا فنزلت هذه الآية ..»[1].

وما يلاحظ في نص ابن الجوزي السابق أنه عرض القراءات أولا، ووجه الاختلاف فيها، ثم أتبعه بالتفسير بحيث ذكر سبب النزول، وأقوال [2] العلماء في معنى الآية .

### 2.5. التنبيه على أصول القراء .

يرد التنبيه في "زاد المسير" في عديد المواطن على الأصول[3]التي سار عليها القراء في كتابالله عز وجل بخصوص حرف من الحروف، أو كلمة من الكلمات، كما ترد الإشارة إلى الاستثناءات التي تكون في بعض الأحيان، ومن ثم يمكن لقارئ "زاد المسير" أن يقف على أصل كل قارئ من قراء القرآن، وهذا أمر يسقط عنه كلفة الاطلاع في جميع المواطن من التفسير، حول حكم أداء هذا الحرف أو ذاك .

من هذا القبيل مثلا ما أورده ابن الجوزي حين فسر قوله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً**﴾(البقرة: 08) قال «.. في "السّلم" ثلاث لغات: كسر السين، وتسكين اللام، وبها قرأ أبوعمرو، وابن عامر في "البقرة"، وفتحا السين في "الأنفال" وسورة "محمد"، وفتح السين مع تسكين اللام. وبها قرأ ابن كثير ونافع، والكسائي في المواضع الثلاثة، وفتح السين واللام. وبها قرأ الأعمش في البقرة خاصة »[4].

ومن ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى:﴿**فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ**﴾(البقرة: 259) حيث قال ابن الجوزي :« (لم يتسنّه) قرأ ابن كثير، ونافع: وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: (يتسنّه) و (اقتده) و (ما أغنى عني ماليه) و (سلطانيه) و (ماهيه) بإثبات الهاء في الوصل، وكان حمزة يحذفهن في الوصل، ووافقه الكسائي في حذف موضعين (يتسنّه) و (اقتده) وكلهم يقف على الهاء. ولم يختلفوا في (كتابيه) و (حسابيه) أنها بالهاء وصلا ووقفا »[5].

ومن أمثلة ذلك أيضا ما جاء في تفسير ابن الجوزي لقوله تعالى:﴿**لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ**﴾(البقرة: 273) حيث قال: « (يحسبهم الجاهل) قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي "يحسبهم" و " يحسِبنّ" بكسر السين في جميع القرآن، وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر بفتح السين في الكل ...»[6].

---

[1] ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير، مرجع سابق ، 407/6 .

[2] يراجع تتمة نصّ ابن الجوزي في تفسير هذه الآية في: 407/6 و 408 .

[3] الأصول: "هي القواعد الكلية التي ينسحب حكم الواحد منها على الجميع غالبا "، عبد العلي المسئول، معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية وما يتعلق به، (القاهرة: دار السلام، ط 1428هـ – 2007م) ص 86 .

[4] ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير، مرجع سابق ، 224/1 .

[5] ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير، مرجع سابق ، 311/1 .

[6] ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير، مرجع سابق ، 328/1 .

### 3.5. توجيه القراءات.

التوجيه عند المقرئين يقصد به تبين وجه قراءة ما والإفصاح عنه، باعتماد أحد الأدلة الإجمالية للعربية، وقد يعبر عنه بعض العلماء بمصطلحات أخرى مثل التعليل، التخريج، التأويل، الإيضاح، الاحتجاج، والانتصار وغيرها[1].

وقد عني ابن الجوزي بتوجيه القراءات عناية بالغة، مستفيدا من رصيده المعرفي الكبير في علوم العربية، فمن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ**﴾ (البقرة: 165) حيث قال:« قوله تعالى (ولو ترى الذين ظلموا): قرأ أبو عمرو، وابن كثير، وعاصم، وحمزة، والكسائي (يرى) بالياء، ومعناه: لو يرون عذاب الآخرة لعلموا أن القوة لله جميعا. وقرأ نافع وابن عامر، ويعقوب (لو ترى) بالتاء، على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، والمراد به جميع الناس، وجوابه محذوف تقديره: لرأيتم أمرا عظيما، كما تقول: لو رأيت فلانا والسياط تأخذه، وإنما حذف الجواب، لأن المعنى واضح بدونه، قال أبو علي: وإنما حذف جواب "لو" لأنه أفخم، لذهاب المتوعد إلى كل ضرب من الوعيد »[2].

وفي المثال السابق يظهر لنا توجيه ابن الجوزي لوجوه القراءات في الآية السابقة توجيها بلاغيا، ويتعلق الأمر بحذف الجواب لغرض تفخيم شأن المحذوف، ليذهب المتلقي في تقديره كل مذهب.

ومن أمثلة ذلك أيضا ما جاء في تفسير ابن الجوزي لقوله تعالى:﴿**فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ**﴾(الحج: 36) حيث قال:« .. قرأ ابن مسعود وابن عباس، وقتادة: "صوافن" بالنون. وقرأ الحسن، وأبو مجلز، وأبو العالية، والضحاك، وابن يعمر: "صوافي" بالياء. قال الزجاج: "صوافّ" منصوبة على الحال، ولكنها لا تنون لأنها لا تنصرف؛ أي قد صفّت قوائمها، والمعنى: اذكروا اسم الله عليها في حال نحرها، والبعير ينحر قائما، وهذه الآية تدل على ذلك. ومن قرأ "صوافن" فالصافن: التي تقوم على ثلاث، والبعير إذا أرادوا نحره، تُعقَّل إحدى يديه، فهو الصافن، والجميع صوافن. هذا ومن قرأ: "صوافيَ" بالياء وبالفتح بغير تنوين، فتفسيره: خوالص، أي خالصة لله لا تشركوا به في التسمية على نحرها أحدا »[3].

وواضح من هذا العرض أن ابن الجوزي استعان بالمعجم في العربية، من أجل توجيه أوجه القراءة المختلفة لكلمة "صوافّ".

ومما سبق تخلص إلى أن ابن الجوزي قد وظف معارفه اللغوية في تفسير القرآن الكريم، وجاءت هذه المعارف متنوعة ومتوزعة بين قضايا النحو، والصرف، والبلاغة، وعلم الأصوات، والمعجم، والقراءات، بل وحتى علم المعرّب والدخيل[4] وغيرها من العلوم. وقد نجح ابن الجوزي في توظيف تلك المعارف والعلوم في بيان أوجه الإعجازاللغوي، والكشف عن أسرار التركيب اللغوي في القرآن والعربية .

---

[1] يراجع، عبد العلي المسئول، معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية، مرجع سابق، ص 155 وما بعدها .

[2] ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير، مرجع سابق ، 170/1 .

[3] ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير، مرجع سابق ، 432/5 ، ويراجع، الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق ، 15/3 .

[4] يراجع زاد المسير : 150/7 و 178/4 .

## 6. خاتمة:

كانت الرحلة مع اللغة في "زاد المسير" كثيرة الفوائد والفرائد، إنها رحلة كشفت عن جوانب إتقان ابن الجوزي لعلوم اللغة المختلفة، إنطلاقا من وعيه بأن اللغة العربية هي وعاء الخطاب القرآني، ومن ثم إن التوسل بالمعرفة اللغوية في تفسير القرآن هي الآلية الموجهة لاجتهاد المفسّر من أجل تحصيل الفهم السليم لمقاصد القرآن، بعيدا عن الضلالات والأوهام والمذاهب.

وبعد أن تدارسنا أهم الجوانب اللغوية في تفسير "زاد المسير"، يمكننا أن نخلص إلى جملة نتائج محدّدة:

1. تنوعت المصادر اللغوية لابن الجوزي في تفسيره، بين مصادر نقل عنها مباشرة وهي كثيرة، ومصدر القراءة على شيوخه والرواية عنهم، وقد وظف ابن الجوزي هذه المصادر توظيفا بديعا ومفيدا، بحيث ينقل الآراء المختلفة ويناقشها، ويتدخل أحيانا بالترجيح والتصويب.

2. عرض ابن الجوزي لمعظم المسائل اللغوية- التي تشكل عدّة المفسر- وهو يتصدى لبيان معاني الكلمات، وخصائص التراكيب في القرآن، وتنوعت تلك المسائل بين مسائل النحو والتصريف والبلاغة والبيان والصوت اللغوي وغيرها. وكثيرا ما يبدي ابن الجوزي رأيه في هذه المسألة أو تلك، كاشفا عن ذائقة لغوية متفردة، في فهمه لخصائص المفرادات وبنية النظم في القرآن.

3. كانت مادة القرآن القرآنية في "زاد المسير" مادة ثرّة، شملت مشهور القراء السبعة أو العشرة أو الأربعة عشرة، كما شملت قراء الصحابة والتابعين صعودا، وكذا تلامذة القراء المشهورين نزولا. وقد أحسن ابن الجوزي توجيه تلك القراءات توجيها لغويا لم يخلوا من لطائف الإشارات وجميل الفوائد. كما كان له منهج واضح في إيراد تلك القراءات في مادة التفسير.. إيرادا يسبق التفسير أويأتي بعده بحسب أهمية كل منهما في الموضع المعين.

4. أظهر ابن الجوزي قدرة عجيبة على اختصار مادته اللغوية بوجه عامّ، من خلال تلخيص أقوال وآراء العلماء، والأخذ منها بما يناسب ويفيد المقام دون حشو أو زيادة، وهذا مؤشر على أمرين اثنين: **الأول** منهما امتلاك ابن الجوزي قدرة منهجية بديعة، كشف عن بعض جوانبها لما صرح في المقدمة أنه يريد لتفسيره ألا يكون بالتفسير المطول الممل، ولا بالتفسير المختصر المخلّ. وأما الأمر **الثاني** فهو قدرته العجيبة على الحفظ والاستفادة مما أسعفته به ذاكرته، التي جمعت عديد المؤلفات والتصانيف، وما أهله لهذا الحفظ اشتغاله بعلم الحديث في وقت مبكر من حياته، وما يتطلبه هذا النوع من العلوم من قدرة على الحفظ والتدقيق والتقميش.

## التوصيات:

إن ما يمكن أن نوصي به في هذا الشأن:

إنجاز دراسات لغوية في المنهج وفي الموضوع، حول مصادر تفسير "زاد المسير"، وبيان أهميتها في بناء هذا التفسير. ثم الكشف عن معالم القدرة المنهجية لابن الجوزي على اختصار تلك الآراء والأقوال التي اعتمدها في بناء تفسيره من جهة، ومن جهة ثانية الوقوف على خصائص التكوين عبر المنهجي الذي طبع شخصية ابن الجوزي، باعتباره أحد الأعلام الذين برعوا في علوم شتى، وجمعوا معارف عدة، الأمر الذي جعله يشكل حالة من حالات الإبداع العلمي والفكري في تاريخ العربية.

## 7. المصادر والمراجع

**القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم .**

الأخفش، معاني القرآن، تح: عبد الأمير محمد أمين الورد، (بيروت: عالم الكتب، 1405هـ / 1985م).

أنيس، إبراهيم ، الأصوات اللغوية، (القاهرة : الأنجلو المصرية، ط 4، 1971م).

ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمان بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط 4، 1407هـ/1987م) .

ابن الجوزي، صيد الخاطر، تحقيق: عبد الحميد هنداوي (بيروت: المكتبة العصرية ، 1428هـ/ 2007م) .

ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح: د. إحسان عباس (بيروت: دار صادر، ط 1390هـ) .

ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة، (مطبعة السنة المحمدية ط 1404هـ) .

الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ( بيروت : دار الفكر، 1431 / 1432هـ - 2010م).

الزمخشري، الكشاف، (بيروت: دار الفكر، 1428 – 1429 / 2008م) .

سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، ( بيروت: دار الجيل ، ط 1، د ت ) .

السيرافي، ما ذكره الكوفيون من الإدغام، تحقيق: صبيح التميمي (الجزائر: دار الشهاب د ط ، د ت) .

السيوطي، بغية الوعاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار الفكر، ط 2، 1399هـ - 1979م) .

الفيروز آبادي، البلغة في تاريخ أئمة اللغة، (بيروت: المكتبة العصرية، 1422هـ – 2001م) .

ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرحه: السيد أحمد صقر (المكتبة العصرية، د ط، د ت) .

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (بيروت: دار الفكر، ط 1، 1428 / 1429هـ - 2008م) .

المسئول،عبد العلي، معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية وما يتعلق به، (القاهرة: دار السلام، ط 1428هـ - 2007م) .

ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2005م / 1426هـ) .